العرب
الثلاثاء 2020/04/07
السنة 42 العدد 11670

بعد انتهاء كورونا، كيف ستتغير نظرة الأميركيين إلى العالم؟

سياسة حفظ المسافات لم تمنع التعرض للخطر

عدو غير متوقع قدم من الشرق

المرحلة الراهنة التي يعيشها العالم متأثرا بفايروس كورونا سترسم ملامح مرحلة جديدة مختلفة عن السابق وتأثيراتها لن تستثني مجتمعا أو دولة، من ذلك الولايات المتحدة، القوة العظمى، التي تسلحت بكل ما أوتيت من علوم وأسلحة وأموال، في حربها ضدّ المارد القادم من الشرق، إلا أنها لم تحسب حساب خطر مستجد سيقلب الموازين، هو كوفيد19-. فحتى العزلة، التي لا تعد أمرا مستجدا في الثقافة الأميركية، لم تفد كثيرا في الحرب ضد هذه الجائحة التي ستعيد رسم وتعزيز الآراء حول دور العالم الأوسع في الحياة الأميركية.

تيد أنتوني

واشنطن- في ظل أزمة انتشار فايروس كورونا في جميع أنحاء العالم وبدء وصوله إلى الولايات المتحدة، اعتمدت مجموعة متنوعة من الأميركيين، بدءا من الرئيس الأميركي نفسه ومرورا بكل فئات الشعب الأخرى، فكرة واحدة أثناء تأطيرهم للكارثة الناشئة. حيث أطلقوا على الأزمة اسم "الفايروس الصيني"، أو "كونغ فلو" بشكل عنصري كان مفاده واضحا وهو: بغض النظر عن الخراب الذي سببه فايروس كورونا، إلا أن مسؤولية انتشاره تقع على عاتق مكان بعينه.

اعتمد النهج الأميركي دائما سياسة حفظ المسافات بين الآخرين، سواء في الاقتصاد أو التكنولوجيا أو التبادل الثقافي. والحقيقة هي أن هذه الأمة كانت دائما أشبه بالجزيرة، وهي مكان تكون فيه التعددية اللغوية، أو حتى حمل جواز سفر، أقل شيوعا من العديد من الدول الأخرى.

والآن، فإن فكرة الفايروس الذي جاء من "مكان آخر" يمكن أن تنحت أخاديد أعمق في هذا المشهد. ومع تفاقم تفشي المرض يوما بعد يوم، فإن الولايات المتحدة، مثل الدول الأخرى، تتجه نحو الداخل تماما. وهذا رد فعل طبيعي في ظل غياب القدرة على التخطيط، وتزايد أعداد الأميركيين العاطلين عن العمل. وقالت إحدى مجلات الشؤون الخارجية "فايروس كورونا يقتل شكل العولمة الذي نعرفه".

سياسة العزلة

من غير المرجح أن الكثير من العولمة التي تمس الأميركيين بشكل يومي، مثل الأجزاء الموجودة في هواتف آيفون الخاصة بهم، والسلع الاستهلاكية الرخيصة، والفواكه التي يشترونها خارج الموسم، والقدرة على التواصل في جميع أنحاء العالم تقريبا، ستجدي نفعا، على الأقل من أجل الصالح العام.

ولكن من شبه المؤكد أن فترة القلق والتأثير الطويلة للفايروس ستعيد رسم وتعزيز الآراء حول دور العالم الأوسع في الحياة الأميركية.

وطوال فترة وجودها التي امتدت لـ244 عاما، تميزت علاقة الولايات المتحدة ببقية العالم بالتأرجح بين العمل مع الدول الأخرى، أو العمل بشكل فردي.

وكانت العزلة، في الواقع، سياسة أميركية مهيمنة حتى القرن العشرين، إلى أن وصل إليها الملايين من المهاجرين من ألمانيا وأيرلندا وإيطاليا وأوروبا الشرقية وأماكن أخرى ليصبحوا أميركيين.

وقد لعبت الجغرافيا دورا في المواقف الانعزالية البدائية. حيث كانت الولايات المتحدة معزولة بالمحيطات، وتحدها دولتان فقط، مما يعني غالبا عدم اختلاطها بأشخاص مختلفين. والأكثر من ذلك، أنه كان يتوجب على العديد من المجتمعات، وخاصة تلك الواقعة على الحدود، أن تكون معزولة من أجل حفظ قدرتها على البقاء على قيد الحياة، حتى عندما كانت بحاجة ماسة إلى الاختلاط بحضارة الشرق. ومع ذلك، كان الدافع الأكثر وضوحا هو الاقتصادي، في شكل خسارة ملحوظة في الفرص.

> فترة القلق والتأثير الطويلة للفايروس ستعيد رسم وتعزيز الآراء حول دور العالم الأوسع في الحياة الأميركية

ومنذ بدايات الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، أظهرت الكثير من فئات الشعب الأميركي حذرا من الغرباء الراغبين في العمل مقابل راتب أقل والاستحواذ على الوظائف من الأميركيين. وهذه التجربة مهدت الأرض الخصبة التي يستغلها السياسيون الشعبويون.

وبالطبع، كان هناك الخوف من الآخر، من النوع الذي يسمح لكلمة مثل "العولمة" بالتطور إلى نمط شرير، وأحيانا معاد للسامية. يقول جيفري مارتينسون، عالم سياسي في كلية ميريديث في رالي، بولاية كارولاينا الشمالية "إن الخوف من المجهول حالة إنسانية. لذا يترجم الناس كل شيء على أنه 'خطر' أو 'ابق بعيدا'".

والشيء المهم الذي يجب تذكره، كما يقول المدافعون عن التدخل، هو أنه منذ الحرب العالمية الثانية على وجه الخصوص، استفاد الأميركيون من ثمار التدخل بقدر ما عانوا من ضرره.

يقول سكوت ويلسون، عالم السياسة بجامعة الجنوب في سيواني، بولاية تينيسي، الذي يساعد في قيادة المبادرات العالمية للمؤسسة، "أظهر الوباء أن المرض، وجوانب أخرى من الحياة، لا يمكن إيقافه الآن عند الحدود".

ويضيف "لقد أظهرت الأزمة أهمية التعاون من حيث الاستجابة. لولا وجود مؤسسات عالمية وتعاون عالمي، لكان الوضع أسوأ بكثير. لا يمكننا العودة إلى الخلف".

تنشيط العولمة

يتنبأ جوناثان كريستول، باحث في برنامج ليفرمور العالمي بجامعة أديلفي في نيويورك، بأن فايروس كورونا "سيوفر الحجة لجميع الجوانب. سيستخدم المعارضون للعولمة والتجارة الحرة انتشار المرض كحجة لتبرير حاجتنا إلى تقويض العولمة. سيتم تأطير ذلك من حيث الهجرة، ومن حيث المشاعر المعادية للصينيين. أما هؤلاء الذين يفضلون الترابط، فسيستخدمون مصطلح 'العمل معا لتحقيق هدف مشترك' كوسيلة لدعم حججهم".

ويكمن أحد الآثار الجانبية لعصر الفايروس في تنشيط العولمة. وتعويضا لعدم قدرتهم على السفر أو الاجتماع بشكل شخصي، ضاعف البشر من التواصل الافتراضي أكثر من أي وقت مضى. وهذا يعني أن صورنا تظهر على الشاشات بغض النظر عن المسافات التي تفصلنا.

يقول ستيفن سميث، خبير اقتصادي بكلية "هوب كوليدج" في ميشيغان "يمكنني أن أرى أن التحول إلى العمل عبر الإنترنت يشجع بالفعل الروابط حول العالم. يمكن أن ينتهي الأمر بنا بالوصول إلى نمط عولمة أعمق، لكن عولمة أكثر إدراكا للمخاطر الأمنية".

وهذا هو السؤال الذي سيظهر في الولايات المتحدة ما بعد الفايروس، وهو كيفية تشكيل المكان الأميركي في العالم ليستفيد منه أكبر عدد ممكن دون المساس بالسيطرة والسيادة اللتين يقدرهما الكثيرون على الأراضي الأميركية التي تعتبر نفسها استثناء للقواعد العالمية؟

يقول بيتي كروز، الرئيس والمدير التنفيذي لمجلس الشؤون العالمية في بيتسبرغ، الذي يعزز المشاركة الدولية "إذا لم يعلمنا الوباء شيئا آخر، فهذا يدل على أننا جميعا في هذا الأمر معا. إننا جميعا عرضة لقوى كهذه. إن العزلة ليست شيئا يمكننا تحمله. لا يمكن للأمة بأسرها أن تصبح غير متصلة عالميا. إذن، السؤال هنا ليس 'كيف نعود إلى طبيعتنا'، ولكن كيف 'نخلق طبيعة جديدة ذات اتصالات أعمق من ذي قبل'".

دبلوماسية الكمامات تعزز حظوظ الصين عالميا

باريس- في غمرة انشغال الدول الأوروبية والولايات المتحدة بمواجهة تفشي جائحة كورونا، التي لا يقف عدادها عن حصد الآلاف من الضحايا يوميا، تعمل الصين بشكل حثيث على استثمار هذا الوضع للتغلغل وتعزيز نفوذها عبر منح مساعدات طبية للعديد من الدول ومن بينها دول أفريقية تواجه منظوماتها الصحية خطر الانهيار بفعل انتشار كوفيد – 19.

تمكنت الصين، التي كانت أول من ظهر بها فايروس كورونا، وتحديدا في مدينة ووهان (وسط)، من احتواء الجائحة والسيطرة على الوضع بفعل الإجراءات الصارمة التي اتخذتها ولاقت تحفظات عليها في البداية قبل أن تتحول إلى نموذج "ملهم" لدول تواجه الفايروس.

ولم تقف الصين عند ذلك "الإنجاز"، الذي نجحت في التسويق له بشكل ملفت في وقت أظهرت فيه دول مثل الولايات المتحدة تخبطا في مواجهة خطر الجائحة، بل وحرصت بكين على تحويل الأزمة الطارئة إلى فرصة لتحقيق اختراقات على صعيد العلاقات الدولية وفتح آفاق جديدة لتعزيز تموقعها على الصعيد العالمي، في الوقت الذي تقوقعت فيه الدول الكبرى المنافسة على نفسها وبات هاجسها الوحيد إنقاذ مواطنيها من خطر كورونا.

وحذت روسيا حذو الصين من خلال عرضها هي الأخرى إرسال معدات وطواقم طبية للعديد من البلدان. أثار هذا التحرك الصيني الروسي، في سياق ما يطلق عليه "القوة الناعمة"، حفيظة دول أوروبية، وأساسا فرنسا، التي سارعت إلى انتقاد استغلال الدولتين للجائحة للدعاية السياسية.

وذهب الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إلى حد تحميل بكين ضمنيا المسؤولية عن تفشي كورونا من خلال اتهامها بعدم الشفافية، وعدم تحذيرها المجتمع الدولي مسبقا من خطورة ما يجري على أراضيها، ما منح فرصة لانتشار الفايروس خارجها.

ويقول خبراء إن موقف باريس الغاضب جاء أساسا لاستغلال كل من الصين وروسيا شعور دول أوروبية، مثل إيطاليا وإسبانيا (المتضررتان الرئيسيتان من كورونا)، بتخلي فرنسا وألمانيا عنها في أوج محنتها، والتقدم لملء ذلك الفراغ. ولعلّ ما زاد حنق باريس مسارعة الصين على وجه الخصوص لتعزيز تموضعها في مناطق نفوذها التاريخية لاسيما في القارة الأفريقية.

وكانت وصلت قبل أيام إلى أديس أبابا دفعة أولى من معدات وقائية وطبية كان تبرع بها الملياردير الصيني والشريك المؤسس لشركة علي بابا جاك ما لتوزيعها على الدول الأفريقية لاحقا.

وقد خصت الصين الجزائر باهتمام لافت، حيث أفادت وكالة الأنباء الصينية الرسمية "شينخوا"، الأسبوع الماضي، بأن بكين قرّرت بناء مستشفى في الجزائر، لتوفير الرعاية الصحية للمصابين بكورونا. وقالت الوكالة الصينية إن نحو أربعة آلاف عامل صيني ونحو خمسة آلاف جزائري سيعملون معا من أجل إنجاز هذا المشروع، فيما لم تشر الوكالة إلى المكان الذي سيشيد فيه أو آجال إنجازه، وكذلك طاقة استيعابه للمرضى.

وكانت الصين أرسلت مؤخرا إلى الجزائر بعثة تضم مجموعة من الأطباء المختصين في الأمراض التنفسية فضلا عن مساعدات طبية من بينها أسرّة إنعاش.

معادلة صفرية

يشهد نفوذ باريس في القارة السمراء تحديات كبيرة بفعل المنافسة الشرسة سواء من قبل بعض شركائها في حلف شمال الأطلسي على غرار واشنطن أو من قبل بكين وبدرجة أقل نسبيا موسكو.

ويقول خبراء إن باريس، التي لطالما وصف تعاطيها مع البلدان الأفريقية بالاستعلائي، غاب عنها أن الوضع الدولي تغير وأن أفريقيا نفسها تغيرت وبدأت العديد من دولها (ليس فقط الجزائر) تحاول الانفلات من القيد الفرنسي وربط شراكات وعلاقات مع دول مثل الصين.

وتكشف لغة الأرقام أن الصين تحولت في السنوات الأخيرة إلى رقم صعب في المعادلة الاقتصادية الأفريقية. وأصبحت الشريك الأساسي للعديد من بلدان القارة السمراء وفي مقدمتها جنوب أفريقيا وإثيوبيا في حين بدأت دول أخرى مثل ونيجيريا والكونغو إلى جانب الجزائر تسلك ذات الطريق.

وتشير دراسات عدة إلى أن الصين استثمرت في أفريقيا نحو 300 مليار دولار حتى موفى العام 2019، وأن هناك نحو 2500 شركة صينية، تهم القطاعات الحيوية مثل البنية التحتية والاتصالات والطاقة، منتشرة في ربوع القارة.

> بكين حرصت على تحويل الأزمة الطارئة إلى فرصة لتحقيق اختراقات على صعيد العلاقات الدولية وفتح آفاق جديدة

وتفيد توقعات خبراء الاقتصاد بأن تبلغ قيمة الأرباح المالية التي تجنيها الصين من القارة السمراء بحلول 2025، 440 مليار دولار، أي بزيادة قدرها 144 في المئة.

وعلى خلاف السياسة الفرنسية التي تستند على نظرية المعادلة الصفرية في تعاطيها مع أفريقيا، بمعنى أن تحوز على كل المكاسب دون أن يحصل الطرف المقابل على أي شيء، فإن الصين تتبنى سياسة مختلفة نسبيا أبرز دعائمها إغراء الدول بقروض ومنح ذات فوائد منخفضة، ما يجعل الدول الأفريقية تميل أكثر فأكثر صوب الصين خاصة مع زيادة حالة الرفض الشعبي لتلك الدول للوجود الفرنسي.

وكان تصريح وصف بالاستفزازي لطبيبين فرنسيين عن اختبار لقاحات ضد فايروس كورونا في أفريقيا قد أثار في الأيام الأخيرة موجة غضب، حيث ضجت مواقع التواصل الاجتماعي بفيديوهات تنتقد هذا التصريح الذي يعكس وفق الكثيرين العقلية الاستعمارية التي تتعاطى بها باريس، وقد انضمت إلى تلك الحملة وجوه سياسية وإعلامية ورياضية بارزة.

نجحت الصين بشكل كبير في استثمار قوّتها الناعمة في القارة السمراء عبر الإعلام والتعليم، وقد ضاعفت الصين منذ العام 2003 نسبة استقبالها للطلاب الأفارقة بثلاثين مرة، على أمل أن يتحول هؤلاء إلى سفراء لها في بلدانهم. واليوم تضيف بكين قطاع الصحة كعنصر أساسي في قوتها الناعمة للمزيد من توثيق الروابط مع بلدان القارة.

هذا الأمر جعل باريس على ما يبدو تتعالى على جراح كورونا وتحاول التحرك لكبح الاندفاعة الصينية، وما دعوة وزير المالية الفرنسي برونو لومير إلى اتخاذ تدابير مثل "تجميد" سداد الديون لمساعدة أفريقيا إلا محاولة للعودة وإثبات الذات.

نادي باريس

قال الوزير الفرنسي، في مؤتمر صحافي بعد أيام قليلة من دعوته مجموعة العشرين لاتخاذ تدابير إزاء البلدان التي قد تجد نفسها في وضع مالي صعب، "تقع على عاتقنا مسؤولية تجنب وقوع مأساة في البلدان النامية، وخاصة في أفريقيا".

وأكد "نحن نؤيد تجميد ديون الدول الأكثر فقرا في الأشهر المقبلة"، مشيرا إلى أن "نادي باريس، الذي لديه خبرة بهذه الحالات، عليه أن يكون رائدا لهذه المبادرة".

ولفت لومير إلى أن فرنسا تدعم "فكرة حقوق السحب الخاصة من صندوق النقد الدولي بقيمة تصل إلى 500 مليار دولار" و"طرح خط ائتمان جديد وسريع لإكمال خط تسهيلات التبادل لدى البنوك المركزية لدعم البلدان التي هي في أمس الحاجة إليها".

وتعد حقوق السحب الخاصة نوعا من العملات التي استحدثها صندوق النقد الدولي، ويتغير سعرها وفقا لسلة من العملات الصعبة. أما خطوط تسهيل التبادل فهي أدوات للحماية من مخاطر نقص السيولة بالعملات الأجنبية، وعادة ما تستخدم للدول التي تقترض بالدولار وتنخفض قيمة عملتها مقابل الدولار، مما يجعل سداد ديونها أكثر صعوبة.

ويستبعد خبراء أن يقود التحرك الفرنسي إلى فعل على أرض الواقع لاسيما مع انهماكها في الحرب ضد كورونا وما تخلفه من ضغوط هائلة على اقتصادها فضلا عن كون مثل هذه الخطوة تحتاج إلى دعم الشركاء الدوليين وهذا أيضا غير متوقع في ظل عدم وجود توافق على سياسات موحدة في مواجهة "التنين الصيني".

من سيسبق الآخر